

للأغنياء فقط

بيان فضل المال وفضل الغني الشاكر والحث على التجارة وقصص وأحكام

بقلم

محمد بن علي بن جميل المطري

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الغني الوهاب، ييسر الرزق لمن يشاء ويختار، ما كان لهم الخيرة، {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِعِزِّ حِسَابٍ}.^(١)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، وجدّه يتيما فأواه، وضالّا فهداه، وعائلا فأغناه، وجعله رحمة مهداة، وأرسله للناس بشيرا ونذيرا، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا. أما بعد:

فإن الإسلام جاء بصلاح الدين والدنيا، وجاء بما يسعد الإنسان في الآخرة والأولى، ومن أعظم أدعية القرآن الكريم: {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}، وكان من أدعية النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر))^(١).

وهذا كتاب ممتع جمعته لأغنياء المسلمين خاصة، قصدت أن أجمع فيه ما ينبغي لكل الأغنياء معرفته، من فضل المال والغنى، وحث الإسلام على التجارة وعمارة الأرض وإصلاح الأموال، وذكرت فيه كثيرا من أقوال الأغنياء من السلف الصالح وقصصهم وأخبارهم، ففيها عبرة لمن بعدهم، وذكرت فيه بعض الأحكام الشرعية المهمة التي يجب على الغني المسلم معرفتها، ويتبع منه أن يكون جاهلا بها.

أسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب من قرأه، وأن يجعله سببا في زيادة الخير في أغنياء الأمة.

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه (٢٧٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أهمية المال وفضله

قال الله سبحانه: {وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا} [النساء: ٥]، أخبر الله في هذه الآية الكريمة أنه جعل الأموال قياما للناس، قال المفسرون: أي جعلها الله لكم قوام معاشكم، قائمة بأموركم، والمعنى: أن الأموال صلاح للحال وثبات له^(٢).

وقال الله تعالى: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الكهف: ٤٦]، وقال تعالى: {وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} [القصص: ٧٧]، وقال جل وعلا: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [الأعراف: ٣٢].

وكان من دعاء النبي صَلَّى الله عليه وسلم الذي يقوله صباحا ومساء: ((اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، وأعوذ بك من عذاب القبر))^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: ((اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخري التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر))^(٤).

وقد علمنا الله في القرآن الكريم أن نقول: {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [البقرة: ٢٠١]، وكان هذا الدعاء أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم كما ثبت في الصحيحين^(٥).

(٢) يُنظر: ((فتح القدير)) للشوكاني (٤٨٩/١).

(٣) رواه أبو داود (٥٠٩٠) بسند حسن.

(٤) رواه مسلم (٢٧٢٠).

(٥) رواه البخاري (٦٣٨٩) ومسلم (٢٦٩٠).

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم: ((نعم المال الصالح للمرء الصالح))^(٦).

وعن يسار بن عبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم: ((لا بأس بالغنى لمن اتقى، والصحة لمن اتقى خير من الغنى، وطيب النفس من النعيم))^(٧).

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: (يا حبذا المال، أصل منه رحمي، وأتقرب إلى ربي عز وجل)^(٨).

وعن عمر رضي الله عنه قال: (عليكم بالجمال واستصلاح المال، وإياكم وقول أحدكم: لا أبالي)^(٩).

وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: (احرث لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً)^(١٠).

وعن المقدم بن معدي كرب رضي الله عنه قال: (يأتي على الناس زمان لا ينفع فيه إلا الدينار والدرهم)^(١١).

وعن قيس بن عاصم المنقري رضي الله عنه أنه قال لبنيه: (عليكم بإصلاح المال، فإنه منبهة للكرم ويستغنى به عن اللئيم)^(١٢).

(٦) رواه أحمد في مسنده (١٧٧٦٣) وصححه الألباني.

(٧) رواه ابن ماجه (٢١٤١) وصححه الألباني.

(٨) رواه ابن أبي الدنيا في كتابه إصلاح المال (٩٨).

(٩) رواه ابن أبي الدنيا في كتابه إصلاح المال (٦٤).

(١٠) رواه ابن أبي الدنيا في كتابه إصلاح المال (٤٩).

(١١) رواه ابن أبي الدنيا في كتابه إصلاح المال (٨٤).

(١٢) رواه الحاكم في المستدرک (٦٥٦٥).

وعن سيد التابعين سعيد بن المسيب رحمه الله قال: (لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله، يكف به وجهه عن الناس، ويصل به رحمه، ويعطي منه حقه)^(١٣).

وعن سيد أتباع التابعين سفيان الثوري رحمه الله قال: كان من دعائهم: (اللهم زهدنا في الدنيا، ووسع علينا منها، ولا تزوها عنا فترغبنا فيها)^(١٤).

وعن سفيان الثوري أيضا قال: (المال في هذا الزمان سلاح المؤمن)^(١٥).

(١٣) رواه ابن أبي الدنيا في كتابه إصلاح المال (٥٥).

(١٤) رواه ابن أبي الدنيا في كتابه إصلاح المال (٦٠).

(١٥) رواه ابن أبي الدنيا في كتابه إصلاح المال (٧٩).

فضل الغني الشاكر

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالوا: ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم. فقال: ((وما ذاك؟!)). قالوا: يصلون كما نصلى، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أفلا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم؟ ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم)). قالوا: بلى: يا رسول الله، قال: ((تسبحون وتكبرون وتحمدون، دبر كل صلاة، ثلاثاً وثلاثين مرة)). قال أبو صالح: فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا، ففعلوا مثله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء))^(١٦).

قال القاضي عياض رحمه الله: "قال أبو القاسم بن أبي صفرة: فيه نص على فضل الغنى نصاً لا تأويلاً إذا استوت أعمالهم بما فرض الله عليهم، فللغنى حينئذ فضل أعمال البر المتعلقة بالأموال بما لا سبيل للفقر إليها، وإنما يفضل الفقر والغنى إذا فضل صاحبه بالعمل، فهذا ظاهر معنى قوله: {فضل الله يؤتيه من يشاء}"^(١٧).

وقال النووي رحمه الله: "باب فضل الغني الشاكر وهو من أخذ المال من وجهه وصرفه في وجوهه المأمور بها، قال الله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى} [الليل: ٥-٧]. وقال تعالى: {وَسُيُجَنَّبُهَا الْأَتَقَى * الَّذِي يُوْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى} [الليل: ١٧-٢١]. وقال تعالى: {إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [البقرة: ٢١٧].

(١٦) رواه البخاري (٨٤٣) ومسلم (٥٩٥).

(١٧) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٢/ ٥٤٦).

[٢٧١]، وقال تعالى: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} [آل عمران: ٩٢]، والآيات في فضل الإنفاق في الطاعات كثيرة معلومة^(١٨).

فالغني الشاكر هو الذي يأخذ المال بحقه ويصرفه في حقه، والآيات التي فيها ثناء على المنفقين هي في الأغنياء المحسنين الذين ينفقون سرا وجهرا كما قال الله سبحانه مثنيا عليهم: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: ٢٧٤].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا، فسلطه علىهلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها))^(١٩).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن. فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالا، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار))^(٢٠).

وهذه الآيات والأحاديث تبين فضل الغني الشاكر، وقد تكلم العلماء في أيهما أفضل الغني الشاكر أو الفقير الصابر، ولا شك أن الغني الشاكر أفضل من الفقير الذي لا يصبر، وكذلك لا شك أن الفقير الصابر أفضل من الغني الذي لا يشكر، قال ابن القيم رحمه الله: "وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عنهما فقال: أفضلهما أتقاهما لله، فإن استويا في التقوى، استويا في الدرجة"^(٢١).

(١٨) رياض الصالحين (٣/ ٤٣٠).

(١٩) رواه البخاري (٧٣) ومسلم (٨١٦).

(٢٠) رواه البخاري (٧٥٢٩) ومسلم (٨١٥).

(٢١) بدائع الفوائد (٣/ ١٦٢).

تفسير سورة الأغنياء

سورة البلد هي سورة الأغنياء حيث ذكر الله فيها حال الأغنياء المتكبرين والأغنياء المحسنين، وفيها حث الأغنياء على إنفاق أموالهم في عظام القرب التي لا تستطاع إلا بالأموال الكثيرة، فيحسن بنا في كتابنا هذا الخاص بالأغنياء أن نتدبر هذه السورة.

يقول الله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤) أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا (٦) أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠) فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُ رَقَبَةً (١٣) أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ (٢٠) }.

التفسير: قوله سبحانه: {لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ*} وأنت حل بهذا البلد { أقسم الله بهذا البلد الحرام، وهو «مكة»، و(لا) هذه صلة للتأكيد وليست نافية، وأنت -أيها النبي- حلال في هذا «البلد الحرام» تصنع فيه ما شئت، ولم يحل له إلا ساعة من نهار في فتح مكة، ففي الآية بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم بفتح «مكة» على يده، وحلها له في القتال. وقيل: المعنى: أقسم بهذا البلد حال كونك حالاً فيه، أي مقيماً فيه؛ لأن حلول النبي صلى الله عليه وسلم في مكة وإقامته فيها يزيد شرفاً إلى شرفها.

قوله سبحانه: {ووالد وما ولد*} لقد خلقنا الإنسان في كبد { وأقسم الله بكل والد وما ولد، ويدخل في هذا آدم عليه السلام وما تناسل منه من ولد، بل ويعم هذا القسم كل والد وما ولد حتى من الحيوانات.

وجواب القسم هو: {لقد خلقنا الإنسان في كبد} أي في تعب وشدة وعناء من مكابدة الدنيا، فكل إنسان يخرج من تعبٍ إلى تعب، فلا أحد يسلم من التعب في هذه الدنيا منذ خروجه من بطن أمه إلى وفاته، فيكابد ضغطة الخروج من بطن أمه ثم يكابد قطع سرتة، ثم إذا قُمِط يكابد الضيق والتعب، ويكابد الارتضاع، ولو فاته لضاع، ثم يكابد الختان، ويكابد الأوجاع والأمراض، ثم يكابد نبات أسنانه،

ثم يكابد الفطام، ثم يكابد المعلم وصولته، والمؤدب وشدته، ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه، ثم يكابد شغل الأولاد، ويكابد بناء السكن وطلب الرزق، ولا يسلم من الأمراض والأحزان، ثم الكبر والهرم، ثم سكرات الموت، فما دمت في هذه الدار فلا تسلم من الأكدار سواء كنت غنيا أو فقيرا.

وفي تفسير هذه الآية قول آخر وهو أن معنى قوله تعالى: {لقد خلقنا الإنسان في كبد} أي منتصب القامة مستويا، فقد خلق الله الإنسان منتصبا يمشي على رجلين، وهذه نعمة جليلة ميز الله بها البشر، فتكون هذه الآية كقوله تعالى: {والتين والزيتون} * وطور سينين * وهذا البلد الأمين * لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم}، وكلا المعنيين صحيح.

قوله سبحانه: {أيحسب أن لن يقدر عليه أحد} أي: أظن هذا الغني بما جمعه من مال أن الله الأحد لن يقدر عليه؟ فالأحد هو الله كما قال سبحانه: {قل هو الله أحد}.

قوله سبحانه: {يقول أهلك ما لا لبدا} * أيحسب أن لم يره أحد} أي: يقول هذا الغني المتكبر متباهيا بما أنفق في شهواته وملذاته: أنفقت ما لا كثيرا. أظن في فعله هذا أن الله الذي من أسمائه أحد لا يراه، ولا يحاسبه على ما أنفقه من الأموال في غير طاعة الله؟!

قوله سبحانه: {ألم نجعل له عينين} * ولسانا وشفتين * وهديناه النجدين} أي: ألم نجعل لهذا الغني المتكبر عينين يبصر بهما، ولسانا وشفتين ينطق بهما، وبيننا له سبيلي الخير والشر بإرسال الرسل وإنزال الكتب؟! وهذه نعم عظيمة دنيوية ودينية لا تقدر بثمن ولم يسأله الله على ذلك أجرا، والمقصود بهذا تأنيب الغني المتكبر؛ لأنه لا يشكر الله بماله وقد أعطاه الله هذه النعم تفضلا منه من غير حول منه ولا قوة، فلم يقم بشكرها، بل استعان بعينه على معصية الله، وتكلم بلسانه وشفتيه بما يسخط الله، وترك اتباع طريق الشكر، واختار سلوك الطريق الذي يغضب الله!!

والنجد في اللغة هو الطريق في المكان المرتفع، ففيه إشارة إلى أن طريق الخير والشر كلاهما فيه تعب ومشقة، فطوبى لمن جعل تعبته فيما يرضي الله لا فيما يسخطه.

قوله سبحانه: {فلا اقتحم العقبة} أي: فهلا اقتحم هذا الغني الأمور الشاقة بإنفاق أمواله فيما يرضي الله عنه؟! أفلا دخل في هذا الطريق الصعب؟

قوله سبحانه: {وما أدراك ما العقبة * فك رقبة} أي: وما أعلمك عن هذا الطريق؟! إنه القيام بهذه الأعمال الصالحة التي لا يستطيعها إلا الأغنياء أصحاب الأموال، ثم ذكر الله بعض الأمور الشاقة التي يحث الأغنياء على إنفاق أموالهم فيها بدلا من إنفاقها في الشهوات والملذات والتفاخر بتبذيرها في سفاسف الأمور.

فمن تلك الأمور الشاقة التي لا تستطيع إلا ببذل الكثير من الأموال: عتق رقبة من أسر الرق، إحسانا بذلك الرقيق وتحريراً له من العبودية، وهذا لا يكون إلا بشرائه من سيده بالأموال الطائلة أو التعاون مع بعض الأغنياء على شراء هذا العبد أو الأمة وعتقهما لوجه الله، ومن ذلك السعي في فكك الأسير المسلم المأسور عند الكفار أو عند غيرهم من الظلمة.

ثم ذكر الله مثالا آخر من الأمور الشاقة التي لا تستطيع إلا ببذل الكثير من الأموال فقال سبحانه: {أو إطعام في يوم ذي مسغبة * يتيما ذا مقربة * أو مسكينا ذا متربة} أي إطعام في يوم ذي مجاعة شديدة، يقل فيها الطعام، ويرتفع سعر الطعام الموجود فلا يستطيع شراؤه المساكين، فيقوم هذا الغني بإطعام الطعام في هذه المجاعة، فيشتريه بالمال الكثير ويبدله للمساكين، لا سيما لليتيم الذي لا أب له من ذوي قرابته فيجتمع فيه فضل الصدقة وصلة الرحم، أو مسكينا ليس من أقاربه معدما لا شيء عنده قد لصق التراب بشيابه وجسده من شدة الفقر، فيطعمه لوجه الله في تلك المجاعة الشديدة.

وهذان مثالان لاقتحام العقبة، ومن اقتحام العقبة أيضا: التنفيس عن مكروب، وإغاثة ملهوف، ونصر مظلوم، وإعانة مجاهد في سبيل الله، وقضاء دين معسر، وعلاج مريض، وتزويج شاب لم يستطع النكاح، وبناء مسجد أو إصلاح طريق أو حفر بئر للناس وغير ذلك من القرب العظيمة التي تنفق فيها الأموال الكثيرة.

قوله سبحانه: {ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة} أي ثم كان هذا الغني مع فعله الأعمال العظيمة بماله من الذين أخلصوا الإيمان لله، وأوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وعن معاصيه، وتواصوا بالرحمة بالخلق، وفي هذا ثناء على الأغنياء الذين يتعاونون على البر والتقوى، فيتواصون بالصبر لأن الإنسان خلق في تعب ومشقة، فيحتاج إلى من يحثه على الصبر على طاعة الله، ومن يحثه على الصبر عن الشهوات المحرمة التي تشتتها نفسه، ويحثه على الصبر على أقدار الله المؤلمة، وأيضا هؤلاء الأغنياء يتواصون بالرحمة بالمساكين، فيحث بعضهم بعضا على فعل الخير رحمة بالمساكين، فإن

الإنسان خلق في تعب، وقلة المال تزيد المساكين تعباً إلى تعبهم، فهؤلاء الأغنياء يتواصون على التخفيف عنهم بما أعطاهم الله من الأموال، ويتعاونون على فعل المعروف بالمساكين، وتعاون هؤلاء الأغنياء يكثر خيرهم، فإن الواحد مهما فعل من خير فإنه قد يكسل أو يمل، فيتعاون مع غيره يستمر في فعل الخير، ويكون نفعه أكثر؛ ولذا أوصى الله المؤمنين بالتعاون على البر والتقوى.

قوله سبحانه: {أولئك أصحاب الميمنة} أي الأغنياء الذين فعلوا هذه الأفعال الطيبة، هم أصحاب اليمين، الذين يؤخذ بهم يوم القيامة ذات اليمين إلى الجنة.

قوله سبحانه: {والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة} * عليهم نار مؤصدة {أي والذين كفروا بالقرآن هم الذين يؤخذ بهم يوم القيامة ذات الشمال إلى نار جهنم، فلا تنفعهم أموالهم التي بخلوا بها في الدنيا، فكفروا بالله ولم يحسنوا إلى خلق الله لا بالزكاة ولا بالصدقات، فيدخلهم الله نار جهنم، وتكون مطبقة مغلقة عليهم، ولا يرحمهم الله لأنهم لم يرحموا خلق الله، ومن لا يرحم لا يُرحم.

تفسير آية الكنز

يقول الله تعالى: {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُخْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ} [التوبة: ٣٤، ٣٥].

أي: والذين يجمعون الذهب والفضة بعضها إلى بعض ويُسكونها ولا يخرجون حقوق الله منها من الزكاة والنفقات الواجبة وبذلها في الجهاد لإعلاء كلمة الله فبشرهم - يا نبي الله - بعذابٍ موجعٍ يعذبهم الله به في يومٍ يُوقد على كنوزهم في نار جهنم فتُكوى بأموالهم المكنوزة جباههم وجنوبهم وظهورهم، ويقال لهم توبيخاً وتحكما: هذا الذي تُكُون به في النار هو ما كنزتم في الدنيا لأنفسكم فاطعموا عذاب ما كنتم تكتزون لأنفسكم من الأموال التي صرتم تُكُون بها^(٢٢).

كما قال تعالى: {وَلَا يَخْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [آل عمران: ١٨٠].

وقال سبحانه: {وَبَلِّغْ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُحْمَةً * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ} [الهمزة: ١ - ٤].

وعن خالد بن أسلم قال: خرجت مع عبد الله بن عمر، فلحقه أعرابي فقال له: قول الله: {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ}، قال له ابن عمر: (من كنزها فلم يؤد زكاتها فويل له، إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة، فلما أنزلت جعلها الله طهوراً للأموال، ثم التفت، فقال: ما أبالي لو

(٢٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١١/ ٤٢٤، ٤٣٣ - ٤٣٧)، ((البسيط)) للواحدي (١٠/ ٣٩٥، ٤٠٢ - ٤٠٥)، ((تفسير ابن عطية)) (٣/ ٢٧)، ((تفسير الرازي)) (١٦/ ٤٠)، ((تفسير القرطبي)) (٨/ ١٢٩، ١٣١)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٢٨/ ٤٤٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٤/ ١٣٨، ١٤١)، ((تفسير أبي السعود)) (٤/ ٦٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٣٣٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٠/ ١٧٦، ١٧٧، ١٨٠)، ((العذب النمير)) للشنقيطي (٥/ ٤٥٦).

قال ابن عاشور: (كيفية إحضار تلك الدراهم والدنانير لثُحْمَى من شؤون الآخرة الخارقة للعادات المألوفة، فبقدرته الله تُحضر تلك الدنانير والدراهم أو أمثالها كما ورد في حديث مانع الزكاة في الموطأ والصحيحين أنه ((يُمثل له ماله شجاعاً أقرع يأخذ بلهزمتيه يقول: أنا مالك، أنا كنزك))، وبقدرته الله يُكوى الممتنعون من إنفاقها في سبيل الله وإن كانت قد تداول أعيانها خلق كثير في الدنيا بانتقالها من يد إلى يد، ومن بلد إلى بلد، ومن عصر إلى عصر)) ((تفسير ابن عاشور)) (١٠/ ١٧٩).

كان لي جبلٌ أحد ذهباً، أعلم عدده وأزكيه، وأعمل فيه بطاعة الله عز وجل^(٢٣).

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((هم الأخسرون ورب الكعبة)) فقلت: يا رسول الله، فذاك أبي وأمي، من هم؟! قال: ((هم الأكثرون أموالاً، إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا - من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله - وقليل ما هم، ما من صاحب إبل، ولا بقر، ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت، وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها، كلما نفدت أخرها، عادت عليه أولاهها، حتى يُقضى بين الناس))^(٢٤).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الذي لا يؤدي زكاة ماله يمثل الله عز وجل له ماله يوم القيامة شجاعاً أقرع، له زبيبتان، ثم يلزمه يطوقه يقول: أنا كنزك، أنا كنزك))^(٢٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما من صاحب ذهب ولا فضة، لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة، صُفِّحت له صفائح من نار، فأُحْمِي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أُعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقضى بين العباد، فيرى سبيله، إما إلى الجنة، وإما إلى النار))^(٢٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَلَمْ يُوَدِّ زَكَاتَهُ، مَثَّلَ لَهُ مَالُهُ شِجَاعاً أَقْرَعَ، لَهُ زَبَيْبَتَانِ يَطْوِقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَأْخُذُ بِلَهْزَمَتَيْهِ - يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ - يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ)) ثم تلا هذه الآية: {وَلَا يَخْسِرَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [آل عمران: ١٨٠] إلى آخر الآية^(٢٧).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ما من صاحب إبل، ولا بقر، ولا غنم، لا يؤدي حقها، إلا أُقْعِدَ لها يوم القيامة بِقَاعٌ قَرْقَرٌ تَطْطُوهُ ذَاتُ الظِّلْفِ بِظِلْفِهَا، وتنطحه ذات القرن بقرنها، ليس فيها يومئذ جماء ولا مكسورة القرن)) قلنا: يا رسول الله، وما حقها؟ قال:

(٢٣) رواه البخاري (١٤٠٤) مختصراً، ورواه ابن ماجه (١٧٨٧) بهذا اللفظ، وصححه الألباني.

(٢٤) رواه البخاري (٦٦٣٨) ومسلم (٩٩٠)، واللفظ له.

(٢٥) رواه أحمد (٥٧٢٩) وصححه الأرنؤوط.

(٢٦) رواه مسلم (٩٨٧).

(٢٧) رواه البخاري (٤٥٦٥).

((إطراق فحلها، وإعارة دلوها، ومنيحتهما، وحلبها على الماء، وحملٌ عليها في سبيل الله، ولا من صاحب مال لا يؤدي زكاته، إلا تحول يوم القيامة شجاعا أقرع، يتبع صاحبه حيثما ذهب، وهو يفر منه، ويُقال: هذا مالك الذي كنت تبخل به، فإذا رأى أنه لا بد منه، أدخل يده في فيه، فجعل يَقْضُمُهَا كما يَقْضُمُ الفحل))^(٢٨).

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا كنز الناس الذهب والفضة، فاكثروا هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وأسألك حسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما، وأسألك لسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب))^(٢٩).

(٢٨) رواه مسلم (٩٨٨).

(٢٩) رواه أحمد (١٧١١٤) والنسائي (١٣٠٤) والطبراني (٧١٣٥) والحاكم (١٨٧٢) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٢٢٨).

نماذج من كرم النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجوده

النبي قدوة كل مسلم في حال غناه وفقره، وصحته ومرضه، وأمنه وخوفه، وفرحه وحزنه، فهو قدوة الفقراء في حال فقرهم، وقدوة الأغنياء في حال غناهم، وهو قدوة الرئيس والقائد والقاضي والمعلم والزوج والجد والقريب والجار والصديق، ولقد أغناه الله بعد فقره، وكان صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى والقدوة الحسنة في الجود والكرم حتى في حال فقره فضلاً عن حال غناه، فكان أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، فكان أجود بالخير من الريح المرسلة.

وكان يعطي عطاءً مَنْ لا يحسب حساباً للفقير ولا يخشاه، ثقة بعظيم فضل الله، وإيماناً بأنه هو الرزاق ذو الفضل العظيم.

عن أنسٍ قال: ما سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، قال: فجاءه رجلٌ فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم أسلموا، فإنَّ محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة^(٣٠).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لو كان لي مثل أحدٍ ذهباً ما يسرُّني أن لا يمرَّ عليّ ثلاث، وعندِي منه شيءٌ إلا شيءٌ أرصدُهُ لدينٍ))^(٣١).

وروى البخاري عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه بينا هو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس، مقبلاً من حنين، عَلِقَتْ رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعراب يسألونه حتى اضطرروه إلى سَمَرَةٍ، فَخَطَفَتْ رداءه، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ((أعطوني ردائي، فلو كان عدد هذه العِصَاهِ نَعْماً، لقسمته بينكم، ثمَّ لا تجدوني بخيلاً، ولا كذوباً، ولا جبائلاً))^(٣٢).

(٣٠) رواه مسلم (٢٣١٢).

(٣١) رواه البخاري (٢٣٨٩) ومسلم (٩٩١).

(٣٢) رواه البخاري (٢٨٢١).

من أخبار أغنياء الصحابة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم: ((مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ، مَا نَفَعَنِي مَالٌ أَبِي بَكْرٍ)). فبكى أبو بكر وقال: وهل أنا ومالي إِلَّا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ^(٣٣)!

وروى هشام بن عروة عن أبيه قال: أسلم أبو بكر وله أربعون ألفاً فأنفقها في سبيل الله، وأعتق سبعة كلهم يعدب في الله: أعتق بلالاً، وعامر بن فهيرة، وزنيعة، والنهدية، وابنتها، وجارية بني المؤمل، وأم عُبَيْس.

وروى أسامة بن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: كان أبو بكر معروفاً بالتجارة، ولقد بُعث النبي صَلَّى الله عليه وسلم وعنده أربعون ألفاً فكان يعتق منها وَيُعَوِّل المسلمين حتى قدم المدينة بخمسة آلاف، وكان يفعل فيها كذلك.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق، فوافق ذلك عندي مالاً، فقلت: اليوم أسبق أبا بكرٍ إن سبقته يوماً، قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله، وأتى أبو بكرٍ بكل ما عنده، فقال: يا أبا بكرٍ ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسبقه إلى شيءٍ أبداً!!)^(٣٤).

واشترى عثمان رضي الله عنه بئر رومة، وكانت لليهودي يبيع المسلمين ماءها، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم: ((من يشتري رومة؟ فيجعل دلوها فيها كدلاء المسلمين بخير له منها في الجنة))، فأتى عثمان اليهودي فاشتراها منه وجعلها للمسلمين^(٣٥).

وجَهَّزَ عثمان جيشَ العُسرةِ وذلك في غَزْوَةِ تَبُوكَ بتسعمائة وخمسين بعيراً، وأتمَّ الألفَ بخمسين فرساً.

(٣٣) رواه ابن ماجه (٩٤) وصححه الألباني.

(٣٤) رواه أبو داود (١٦٧٨) وحسنه الألباني.

(٣٥) رواه ابن خزيمة في صحيحه (٢٤٩٢) وصححه الألباني.

وقال الزهري: تصدق عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه على عهد رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم بشطر ماله أربعة آلاف ثم تصدق بألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل عز وجل، ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله؛ وكان عامة ماله من التجارة.

ووصل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أزواج النبي صَلَّى الله عليه وسلم بما بيع بأربعين ألفاً، وأوصى بحديقة لأمهات المؤمنين بيعت بأربعمئة ألف^(٣٦).

وقال المسور بن مخرمة: باع عبد الرحمن بن عوف أرضاً من عثمان بأربعين ألف دينار، فقسم ذلك المال في بني زهرة، وفقراء المسلمين، وأمهات المؤمنين، وبعث إلى عائشة معي من ذلك المال، فقالت عائشة: سقى الله ابن عوف سلسبيل الجنة.

وعن طلحة بن عبد الرحمن بن عوف قال: كان أهل المدينة عيالاً على عبد الرحمن بن عوف، ثلث يقرضهم ماله، وثلث يقضي دينهم بماله، وثلث يصلهم.

وعن عروة بن الزبير قال: أوصى عبد الرحمن بن عوف بخمسين ألف دينار في سبيل الله تعالى.

قال أبو عمر بن عبد البر: كان عبد الرحمن بن عوف تاجراً مجدوداً في التجارة، فكسب مالا كثيراً، وخلف ألف بغير، وثلاثة آلاف شاة، ومائة فرس ترعى بالبقيع، وكان يزرع بالجرف على عشرين ناضحاً. قال الطائي: قسم ميراثه على ستة عشر سهماً فبلغ نصيب كل امرأة من نسائه وهنَّ أربع ثمانين ألف درهم^(٣٧)!!

(٣٦) لمعرفة قدر الأموال المذكورة في أخبار السلف وقياسها على عملاتنا المعاصرة: الدينار = ١٠ دراهم، والدينار وزنه أربعة جرامات وخمسة وعشرون بالمائة (٢٥ . ٤)، فمثلاً: الأربعون ألف درهم = ٤٠٠٠ دينار من الذهب، ووزنها = ١٧٠٠٠ جراماً من الذهب، وسعرها في زماننا يصل أحياناً إلى سبعمئة ألف دولار!!

(٣٧) وهذه ثروة كبيرة، وعند حسابها بعملات زماننا يتبين أن ميراث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يقارب خمسين مليون دولار!!

وقال موسى بن طلحة أنّ معاوية سأله: كم ترك أبو محمد، يرحمه الله، من العين؟ قال: ترك ألفي ألف درهم، ومائتي ألف درهم^(٣٨)، ومائتي ألف دينار، وكان يُغَلَّ كلَّ سنة من العراق مائة ألف سوى غلاته من السراة وغيرها، ولقد كان يُدْخِلُ قُوتَ أهله بالمدينة سَنَتَهُم من مزرعة بقناة كان يَزْرَعُ على عشرين ناضجًا، وأوَّل من زرع القمح بقناة هو، فقال معاوية: عاش حميدًا سخيًّا شريفًا رحمه الله.

وروى الحسن أنّ طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه باع أرضًا له من عثمان بن عفان بسبعمئة ألف، فحملها إليه، فلمّا جاء بها قال: إنّ رجلًا تبيتُ هذه عنده في بيته لا يدري ما يَطْرُقُه من أمر الله لَعَرِير بالله، فبات ورُسلُهُ مختلف بها في سِكَكِ المدينة حتّى أَسْحَرَ وما عنده منها درهم!!

قال قبيصة بن جابر: ما رأيت أحدًا أعطى لجزيل مالٍ من غير مسألة من طلحة بن عبيد الله.

وقال موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه قال: كان طلحة بن عبيد الله يُغَلَّ بالعراق ما بين أربعمئة ألفٍ إلى خمسمئة ألف، ويُغَلَّ بالسراة عشرة آلاف دينار أو أقلّ أو أكثر، وبالأعراض له غلاتٌ، وكان لا يدعُ أحدًا من بني تميم عائلًا إلّا كفاه مؤونته ومؤونة عياله وزوج إيماءهم، وأخذمَ عائلهم، وقضى دين غارمهم، ولقد كان يُرسل إلى عائشة إذا جاءت غلّته كلَّ سنة بعشرة آلاف، ولقد قضى عن صُبيحة التيمي ثلاثين ألف درهم.

وقال السائب بن يزيد: صَحِبْتُ طلحة بن عبيد الله في السفر والحضر فلم أَخْبِرْ أحدًا أعمَّ سخاءً على الدّهرم والثوب والطعام من طلحة.

قال المدائني: إنّما سَمِّيَ طَلْحَةُ بن عبيد الله الخزاعي: طَلْحَةُ الطَّلْحَات؛ لأنّه اشترى مائة غلام واعتقهم وزوّجهم، فكلُّ مولود له سَمَاهُ طلحة.

وكان عبد الله بن عمر كثير الصدقة، وربما تصدق في المجلس الواحد بثلاثين ألفًا.

(٣٨) يعني: كانت تركة طلحة بن عبيد الله - وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة - رضي الله عنه مليونين ومائتي ألف درهم + مائتي ألف دينار، وهي ثروة كبيرة جدا، ولمعرفة حسابها بعملات زماننا نقول: مائتا ألف دينار = اثنان مليون درهم؛ لأن الدينار الواحد كان يصرف بعشرة دراهم، فيكون مجموع تركته من الدراهم: أربعة ملايين ومائتا ألف درهم، وهي تساوي ٤٢٠.٠٠٠ دينار، أي: ١٧٨.٥٠٠ جراما من الذهب، وقيمتها في هذا الزمان ثمانون مليون دولارا أو أكثر بحسب سعر الذهب!!

وروى نافع قال: أُتِيَ ابنُ عمر ببضعةٍ وعشرين أَلْفًا فما قام من مجلسه حتى أعطاهَا، وزاد عليها، قال: لم يزل يُعْطِي حتى أنْفَذ ما كان عنده فجاءه بعض من كان يُعْطِيه؛ فاستقرض من بعض مَنْ كان أعطاه فأعطاه!!

وروى نافع أنَّ ابن عمر كان لا يكاد يتعشَّى وحده.

قال نافع: كان ابن عمر إذا اشتدَّ عَجْبُهُ بشيء من ماله قرَّبه لربِّه، واشتهى مرة حوتًا فشَوَّوْها له ووضعوها بين يديه، فجاء سائل، فأمر بالحث فُدْفِعَتْ إليه!!

قال ابن سيرين: كان أهل الصُّفَّة إذا أمسوا انطلق الرجل بالواحد، والرجل بالاثنين، والرجل بالجماعة، فأما سعد بن معاذ فكان ينطلق بثمانين!!

وروى الدارقطني في كتابه الأسخياء من طريق هشام بن عروة عن أبيه قال: كان منادي سعد بن معاذ ينادي بمكان عالٍ في المدينة: من كان يريد شحمًا ولحمًا، فليأت سعدًا، وكان سعد يقول: اللهم هب لي مجدًا، لا مجد إلا بفعل، ولا فعال إلا بمال، اللهم إنه لا يصلحني القليل، ولا أصلح عليه.

وعن بَرزة بنت رافع قالت: لما خرج العطاء أرسل عمر إلى زينب بنت جَحْش بالذي لها، فلمَّا أُدْخِل عليها قالت: غَفَرَ الله لعمر، غيَّر من أخواني كان أقوى على قسم هذا مني، قالوا: هذا كلُّه لك، قالت: سبحان الله! فقالت: صَبَّوْهُ واطرحوا عليه ثوبًا، ثمَّ قالت لي: أدخلي يدك فاقبضي منه قبضة فاذهي بها إلى بني فلان، وبني فلان، من أهل رَجْمِها وأيتامها، حتى بقيت بقيَّة تحت الثوب، فقالت لها بَرزة بنت رافع: غَفَرَ الله لك يا أمَّ المؤمنين! والله لقد كان لنا في هذا حق، فقالت: فلكم ما تحت الثوب، فوجدنا تحته خمسةً وثمانين درهمًا.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة أكثر أنصاريٍّ بالمدينة مالًا، وكان أحبَّ أمواله إليه بيرحى، وكانت مستقبله المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماءٍ فيها طيبٌ، قال أنس: فلمَّا نزلت هذه الآية: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إِنَّ الله يقول في كتابه: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}، وإنَّ أحبَّ أموالِي إليَّ بيرحى، وإنَّها صدقةٌ لله، أرجو برَّها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث

شئت، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((بِخٍ، ذلك مالٌ رابحٌ، ذلك مالٌ رابحٌ، قد سمعتُ ما قلتَ فيها، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين))، فقسّمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمّه (٣٩).

ومرض قيس بن سعد بن عبادة، فاستبطأ إخوانه، فقليل له: إنهم يستحيون ممّا لك عليهم من الدّين!! فقال: أخزى الله مالاً يمنع الإخوان من الزّيارة، ثمّ أمر منادياً فنادى: مَنْ كان عليه لقيس بن سعد حقٌّ فهو منه بريء، قال: فانكسرت درجته بالعشي لكثرة من زاره وعاده!!

وقال عطاء: ما رأيت مجلساً قطُّ أكرم من مجلس ابن عبّاس، أكثر فقهاً، وأعظم جفنةً، إنّ أصحاب القرآن عنده، وأصحاب النّحو عنده، وأصحاب الشّعْر، وأصحاب الفقه، يسألونه كلّهم، يصدرهم في وادٍ واسعٍ .

وعن أبان بن عثمان قال: أراد رجل أن يضار عبيد الله بن عبّاس، فأتى وجوه قريش فقال: يقول لكم عبيد الله: تغدوا عندي اليوم!! فأتوه حتى ملئوا عليه الدّار، فقال: ما هذا؟ فأخبر الخبر، فأمر عبيد الله بشراء فاكهة، وأمر قومًا فطبخوا وخبزوا، وقدّمت الفاكهة إليهم، فلم يفرغوا منها حتى وُضعت الموائد، فأكلوا حتى صدروا، فقال عبيد الله لوكّلائه: أو موجود لنا هذا كلّ يوم؟ قالوا: نعم، قال فليتغدّ عندنا هؤلاء في كلّ يوم!!

قال المدائني: أوّل من فطرّ جيرانه على طعامه في الإسلام عبيد الله بن عبّاس رضي الله عنهما، وهو أوّل من وضع موائده على الطّريق، وكان إذا خرج من بيته طعاماً لا يعاود منه شيء، فإن لم يجد من يأكله تركه على الطّريق.

(٣٩) رواه البخاري (١٤٦١) ومسلم (٩٩٨).

من قصص أغنياء التابعين ومن بعدهم:

ذكر المؤرخون أنه كان ناسٌ من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم، فلمَّا مات علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رحمه الله فقدوا ذلك الذي كانوا يُؤْتُونَ بالليل.

وقال أبو السَّوَّار العدويُّ: كان رجالٌ من بني عدي يصلُّون في هذا المسجد، ما أفطر أحدٌ منهم على طعامٍ قطُّ وحده، إن وجد من يأكل معه أكل، وإلاَّ أخرج طعامه إلى المسجد، فأكله مع النَّاس، وأكل النَّاس معه.

وقال عبد الله بن الوسيم الجمَّال: أتينا عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله نسأله في دينٍ على رجلٍ من أصحابنا، فأمر بالموائد فنُصِبَتْ، ثمَّ قال: لا، حتى تصيبوا من طعامنا، فيجب علينا حقُّكم وضمائمكم، قال: فأصبنا من طعامه، فأمر لنا بعشرة آلاف درهمٍ في قضاء دينه، وخمسة آلاف درهمٍ نفقةً لعياله.

وفي ترجمة عبد الله بن المبارك في سير أعلام النبلاء لمؤرخ الإسلام الذهبي^(٤٠): كان عبد الله بن المبارك غنيا، شاكرا، رأس ماله نحو الأربع مائة ألف.

وكان يُنفق على الفقراء، في كل سنة مائة ألف درهم!!

قال سلمة بن سليمان قال: جاء رجل إلى ابن المبارك، فسأله أن يقضي دينا عليه، فكتب له إلى وكيل له. فلما ورد عليه الكتاب، قال له الوكيل: كم الدَّين الذي سألتَه قضاءه؟ قال: سبع مائة درهم. وإذا عبد الله قد كتب له أن يُعطيه سبعة آلاف درهم، فراجعه الوكيل، وقال: إن الغلات قد فنيت. فكتب إليه عبد الله: إن كانت الغلات قد فنيت، فإن العمر أيضا قد فني، فأجز له ما سبق به قلمي!

وعن محمد بن عبد الرحمن بن سهم، قال: كنت مع ابن المبارك، فكان يأكل كل يوم، فيشوى له جدي، ويتخذ له فالودق [وهو حلوى فاخرة]، فقيل له في ذلك، فقال: إني دفعت إلى وكيلي ألف دينار، وأمرته أن يوسِّع علينا.

(٤٠) انظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٠٩ - ٤١٠).

قال حبان بن موسى: رأيت سُفرة ابن المبارك حُمِلت على عَجَلَة!

وقال أبو إسحاق الطالقاني: رأيت بغيرين محمِلين دجاجا مشويا لسُفرة ابن المبارك.

قال نعيم بن حماد: قدم ابن المبارك أيلة على يونس بن يزيد، ومعه غلام مفرغ لعمل الفالودج، يتخذُه للمحدثين.

قال الحسن بن حماد: دخل أبو أسامة على ابن المبارك، فوجد في وجهه عبد الله أثر الضر، فلما خرج، بعث إليه أربعة آلاف درهم، وكتب إليه:

وفى خلا من ماله ... ومن المروءة غير خال

أعطاك قبل سؤاله ... وكفاك مكروه السؤال

وقال المسيب بن واضح: أرسل ابن المبارك إلى أبي بكر بن عياش أربعة آلاف درهم، فقال: سد بها فتنة القوم عنك.

وقال محمد بن عيسى كان شاباً يسمع الحديث من ابن المبارك في طرسوس، فلم يره أياما فسأل عنه ف قيل له: حُبِس على عشرة آلاف درهم. فاستدل ابن المبارك على الغريم فأعطاه عشرة آلاف درهم، وحلَّفه ألا يُخبر أحدا ما عاش، فأخرج الشاب من السجن، فلما لقي ابن المبارك قال له: يا فتى أين كنت؟ لم أرك! قال: يا أبا عبد الرحمن! كنت محبوسا بدين. قال: وكيف خلصت؟ قال: جاء رجل فقضى ديني، ولم أدر. قال: فاحمد الله، ولم يعلم الرجل إلا بعد موت عبد الله!!

وقال الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء في ترجمة الوزير ابن هبيرة: الوزير العادل علي بن عيسى بن داود البغدادي الإمام، المحدث، الصادق، الوزير، العادل، أبو الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجراح البغدادي، كان على الحقيقة غنيا شاكرا، ينطوي على دين متين وعلم وفضل. وكان صبورا على المحن. والله به عناية، وهو القائل يعزي ولدي القاضي عمر بن أبي عمر القاضي في أبيهما: مصيبة قد وجب أجرها خير من نعمة لا يؤدي شكرها.

وكان رحمه الله كثير الصدقات والصلوات، مجلسه موفور بالعلماء. قال الصولي: لا أعلم أنه وزر لبني العباس مثله في عفته وزهده وحفظه للقرآن، وعلمه بمعانيه، وكان يصوم نهاره، ويقوم ليله. وكان الوزير

متواضعاً، قال: ما لبست ثوباً بأزيد من سبعة دنانير. قال أحمد بن كامل القاضي: سمعت علي بن عيسى الوزير، يقول: كسبت سبع مائة ألف دينار، أخرجت منها في وجوه البر ست مائة ألف وثمانين ألفاً. توفي في آخر سنة أربع وثلاثين وثلاث مائة^(٤١).

(٤١) انظر: سير أعلام النبلاء (١٥ / ٢٩٨ - ٣٠١).

قصص معاصرة لأغنياء بررة:

جاء في موسوعة الأخلاق التابعة لموقع الدرر السنية:

● كرم الشيخ عبد العزيز بن باز المتوفي سنة ١٤٢٠هـ:

لا يكاد يُعلم في زمان سماحة الشيخ أحدٌ أسخى ولا أجود ولا أكرم من سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، وذلك في وجوه السخاء، وصوره المتعددة، ومن هذه الصور:

١- كان مجبولاً على حبّ الضيوف، والرغبة في استضافتهم منذ صغره.

٢- كان يوصي بشراء أحسن ما في السوق من الفاكهة، والتّمر، والخضار، وسائر الأطعمة التي تقدّم لضيوفه.

٣- وكان يلحّ إلحاحاً شديداً إذا قدّم عليه أحدٌ أو سلّم عليه، فكان يلحّ عليهم بأن يجلّوا ضيوفاً عنده على الغداء، والعشاء، والمبيت، ولو طالّت مدّة إقامتهم.

٤- وكان يرغب القادمين إليه بأن يتواصلوا معه في الزيارة، فيذكّرهم بفضل الزيارة، والمحبة في الله، ويسوق لهم الآثار الواردة في ذلك؛ ممّا يبعثهم إلى مزيد من الزيارة؛ لأنّ بعضهم لا يرغب في الإثقال على سماحة الشيخ وإضاعة وقته؛ فإذا سمع منه ذلك انبعث إلى مزيد من الزيارات.

٥- وكان لا يقوم من المائدة حتى يسأل عن ضيوفه: هل قاموا؟ فإذا قيل له: قاموا. قام؛ كيلا يعجلهم بقيامه قبلهم، وإذا قام قال: كلُّ براحتي، لا تستعجلوا.

٦- وإذا قدّم الضيوف من بعيد، ثمّ استضافهم وأكرمهم، وأرادوا توديعه ألحّ عليهم بأن يمكثوا، وأن يتناولوا وجبة أخرى، وأن يبيتوا عنده؛ فلا ينصرفون منه إلّا بعد أن يتأكّد بأنهم مسافرون أو مرتبطون. بل إذا قالوا: إنهم مرتبطون، قال: ألا يمكن أن تتخلّصوا من ارتباطكم؟ ألا تهاتفون صاحب الارتباط، وتعتذروا منه؟

٧- وكان يفرح بالقدام إليه ولو لم يعرفه من قبل، خصوصاً إذا قدم من بعيد، أو لمصلحة عامّة.

٨- ومن لطائف كرمه أنه إذا قدم عليه قادم وهو في السيّارة أخذ يتحفّز، ويتحرّك ويدعو القادم للركوب معه، ولو كان المكان ضيقاً، لكن سماحته يريه أنه محبٌ لصحبته، أو أن يأمر أحد السائقين التّابعين للرئاسة ليوصله، أو أن يأخذ سيارة للأجرة؛ لتنقل من يأتون إليه إذا كانوا كثيرين.

٩- كان منزل أسرة سماحة الشّيخ في الرّياض، لا يتّسع لكثرة الضّيوف القادمين إليه، وكثيراً ما يأتيه أناس بأسرهم إمّا من المدينة أو غيرها؛ إمّا طلباً لشفاة أو مساعدة، أو نحو ذلك، فكانوا يسكنون عند سماحة الشّيخ في المنزل.

• قال الشيخ الشريف حاتم العوني في صفحته في الفيس بوك: "لقيت لليلتين متواليتين تجارا كبارا في تركيا، ممن يدعمون العمل الإسلامي الخيري ، وتعلمت منهم معاني في التواضع وفي البذل وحب الخير للناس ما لا أكاد أعرف بعضه إلا في قصص السابقين !

١- أحدهم مع بذله الشديد ، والذي يبلغ عشرات الملايين سنويا . فقد أقسم أن لا يقضي العيد في بلده ، وأن يقضيه في زيارة الفقراء وتفقد أحواله في تركيا وخارجها .

٢- أحدهم يبكي حتى تبكي لبكائه إذا أثنى عليه أحد لعطائه ؛ ويقول : أنا أخدم نفسي بهذا العطاء ، فكيف تشنون على من يحب نفسه ؟! أنا أتاجر ، لكن مع الله !!

٣- وآخر بنى مسجدا ضخما في دولة جنوب أفريقيا ، بتكلفة مائة وخمسين مليون دولار . ووقف على بنائه بنفسه ، وشارك العمال في بنائه ، حتى تم .

٤- وآخر يتبرع بتسع فلل في أجمل منطقة في استانبول ، كان ينوي أن يسكن في إحداها ، ويعطي ابنه واحدة وبنته أخرى ، وهي تساوي مئات الملايين . وخلال جلسة مع شيخ فاضل ، قال له الشيخ : ألا تبيعها لله ؟ فقال مباشرة : بعتها . وكانوا في المساء ، وبعد أن رجع إلى بيته : اتصل بالشيخ وطالبه بأن يعجل بكتاب عدل ، وإلا سيرجع في عطائه . وكانوا في منتصف الليل ، فظنوا أنه يريد التراجع . لكنهم بحثوا عن صديق وكاتب عدل ، فذهبوا به إليه ، وتم نقل الملكية إلى تلك الجهة الخيرية ، لتكون تلك الفلل مدارس . فلما تم البيع سألوه : لماذا فعلت ذلك ؟! فقال : خشيت أن أموت قبل أن أتمم بيعتي مع الله ! فينكر البيع أبنائي ، فيفوتني شرف وريح بيع مع الله !!

هذه قصص حقيقية ، وليست من نسج الخيال . والتقيت بهؤلاء التجار ، وكانوا في غاية التواضع والانضباط . يجلس بعضهم على الأرض ، ولا يستقبلون اتصالات هاتف احتراماً لنا ، بل لا نسمع رنين هواتفهم . يستبشرون بدعائنا ، وتهلل وجوههم إن ذكرنا لهم نجاحات مشروعاتهم الخيرية" .

- في تاريخ ١٥ رجب ١٤٣٥ هـ أعلن رئيس مجموعة البنك الإسلامي للتنمية بالكويت الدكتور أحمد محمد علي أن البنك تلقى تبرعا بقيمة ٢٦٧ مليون دولار من "فاعل خير" سيخصص لإنشاء ٧٥ عيادة طبية في عدة بلدان بينها ١٥ عيادة في اليمن.

فوائد الزكاة والصدقات

١. امثال الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام، فعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان))^(٤٢).

٢. التنزه عن صفة البخل المهلك.

٣. التعاون على البر والتقوى.

٤. الصدقة برهان على إيمان صاحبها.

٥. الزكاة والصدقات تطهر النفوس وتزكيها.

٦. مضاعفة الحسنات.

٧. الزكاة والصدقات دليل على شكر نعمة المال.

٨. مغفرة الذنوب ، وتكفير السيئات ، وإطفاء نار الخطايا.

٩. السلامة من وبال المال بالأخرة.

١٠. نيل درجة البر، قال تعالى: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: ٩٢].

١١. الإنفاق من صفات المتقين.

١٢. تنمية الأخلاق الحسنة والأعمال الصالحة.

١٣. الأمان من الخوف يوم الفرع الأكبر.

١٤. تحصين المال وحفظه وزيادته.

١٥. الصدقة دواء كثير من الأمراض القلبية والبدنية.

(٤٢) رواه البخاري (٨) ومسلم (١٦).

١٦. الصدقة سبب لدفع البلايا وسيء الأسقام عن النفس والأهل.

١٧. الصدقة سبب لجلب المودة بين الناس.

١٨. صاحب الزكاة والإنفاق موعود بالخلف والتوفية، قال تعالى: {وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوفَ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} [الأنفال: ٦٠]، وقال تعالى: {يَمَحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ} [البقرة: ٢٧٦].

١٩. صاحب الزكاة والإنفاق موعود أيضا بالزيادة في الدنيا على ما أنفق، كما وعد الله في قوله: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [سبأ: ٣٩]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله))^(٤٣)، فالصدقة من أعجب الأشياء، فالله هو الذي رزق المال ويسره، ثم أمر بالصدقة منه، ووعد بالخلف، والصدقة لا تُنقص المال بل يخلف الله لمن تصدق مثل ما أنفق وأزید، وهذا أمر معروف عند المتصدقين، فما أعجب أمر الصدقة!! وصدق الله إذ يقول: {هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} [محمد: ٣٨].

٢٠. الزكاة والصدقات سبب لإضعاف مادة الحسد والحقد والبغضاء بين الناس.

٢١. بالصدقة والإنفاق يتصف العبد بأوصاف الكرماء وأهل الفضل، ويتخلص من الأوصاف والأسماء الرذيلة كالشحيح والبخيل والمقتز.

٢٢. الزكاة والصدقات سبب لنزول القطر، ومنع الزكاة سبب لمنع القطر.

(٤٣) رواه مسلم في صحيحه (٢٥٨٨).

٢٣. الفوز بالجنة والنجاة من النار، فعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أخبرني بعمل يدخلني الجنة قال: ((تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم))^(٤٤).

٢٤. النجاة من عذاب القبر.

٢٥. الاستظلال بظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه))^(٤٥).

٢٦. الاستظلال بظل الصدقة يوم القيامة، قال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده: حدثنا علي بن إسحاق، قال: أخبرنا عبد الله بن مبارك، قال: أخبرنا حرملة بن عمران أنه سمع يزيد بن أبي حبيب، يحدث أن أبا الخير حدثه أنه سمع عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((كل امرئ في ظل صدقته حتى يُفصل بين الناس - أو قال: يُحكم بين الناس)) قال يزيد: وكان أبو الخير لا يخطئه يوم إلا تصدق فيه بشيء ولو كعكة أو بصلة^(٤٦).

٢٧. استحقاق الثناء من الله.

٢٨. الصدقة سبب في زيادة الأعمار.

٢٩. الصدقة سبب في دفع ميتة السوء.

٣٠. الصدقة سبب في التواضع وذهاب الكبر والفخر والخيلاء.

(٤٤) رواه البخاري (١٣٩٦) ومسلم (١٣).

(٤٥) رواه البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١).

(٤٦) مسند أحمد بن حنبل حديث رقم (١٧٣٣٣).

٣١. الصدقة تطفئ غضب الرب.
٣٢. الصدقة سبب لمحبة الله عز وجل.
٣٣. الصدقة سبب للسلامة من كفر نعمة الله.
٣٤. الصدقة تفك صاحبها من النار.
٣٥. الصدقة سبب لدعاء الملائكة للمتصدق.
٣٦. الصدقة سبب لاستجابة الدعاء وكشف الكربة.
٣٧. الصدقة سبب لسعة الرزق.
٣٨. الصدقة سبب للنصر على الأعداء.
٣٩. الصدقة سبب للفرج بعد الشدة.
٤٠. الصدقة سبب للخيرية كما قال صلى الله عليه وسلم: ((اليد العليا خير من اليد السفلى))^(٤٧).
٤١. للمتصدق على المجاهدين في سبيل الله أجر المجاهد.
٤٢. الصدقة سبب في إعانة المتصدق على الطاعة وتيسيره لليسرى كما قال الله سبحانه: { فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (١١) } [الليل: ٥ - ١١].
٤٣. إخراج الزكاة والصدقات سبب في حصول البركة في مال المتصدق وعمره وذريته.
٤٤. إخراج الزكاة سبب في النجاة من الهلاك العام والابتلاء بالسنين.
٤٥. المتصدق على الأيتام بكفالتهم يفوز بمجاورة النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة.
٤٦. الصدقة سبب في إطعام الله للمتصدق وسقيه وكسائه.

(٤٧) رواه البخاري (١٤٢٩) ومسلم (١٠٣٣) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

٤٧. ثواب الصدقة في بناء المساجد سبب في بناء بيت للمتصدق في الجنة.
٤٨. الصدقة من أسباب سكنى الغرف العالية في الجنة.
٤٩. أجر الصدقة ثابت ولو كان على البهائم والطيور.
٥٠. الصدقة خير ما يهدى للميت لا سيما إن كان من الوالدين والأقربين.
٥١. الزكاة والصدقة من أسباب حل الأزمات الاقتصادية ، ومن أسباب ترابط الأمة الإسلامية.
٥٢. الصدقة علاج لقسوة القلب.
٥٣. الزكاة والصدقة تنجي العبد من الاتصاف بخصال المنافقين، فهي برهان على إيمان صاحبها.
٥٤. الزكاة تنجي العبد من نهم الشجاع الأقرع يوم القيامة، وهو ثعبان يعض مانع الزكاة كما ثبت ذلك في الحديث.
٥٥. إخراج الزكاة والصدقات يؤلم الشيطان ويغيظه ويكيد.
٥٦. الصدقة سبب لمعية الله عز وجل، كما قال سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} [النحل: ١٢٨].
٥٧. ثواب الصدقة الجارية يبقى للعبد بعد موته، وطوبى لمن مات واستمرت حسناته!!

فائدة مهمة في معرفة قدر الزكاة:

تجب الزكاة في الذهب والفضة، ومقدار الزكاة الواجبة في الذهب والفضة ربع العشر، ونصاب الذهب الخالص عيار ٢٤ = ٨٥ جراماً ، ونصاب عيار ٢١ = ٩٧ جراماً، ونصاب عيار ١٨ = ١١٣ جراماً . ونصاب الفضة = ٥٩٥ جراماً.

والعملات النقدية يقدر نصابها بقيمة نصاب الذهب، وقيل: بقيمة نصاب الفضة.

فمن أراد أن يعرف هل عليه زكاة أو لا، فعليه أن يستخرج نصاب المال، فيسأل تجار الذهب عن القيمة التي يشترون بها جرام الذهب عيار ٢١ ثم يضرب العدد الذي يقوله الصيارفة في نصاب الذهب (٩٧)، والنتيجة من ذلك هو نصاب المال الذي تجب فيه الزكاة.

مثال ذلك: لو قال تاجر الذهب: إنَّ قيمة شراء الغرام من الذهب عيار ٢١ = ١٠٠٠ ريال ، يكون الحساب كالآتي:

١٠٠٠ ريال $\times ٩٧ = ٩٧,٠٠٠$ ريالاً، فهذا هو النصاب، فمن عنده هذا المال فعليه زكاة، ومن كان عنده دون ذلك فلا زكاة عليه.

ومن أراد أن يعرف مقدار ربع العشر الذي هو مقدار زكاته فعليه أن يقسم المبلغ المراد زكاته على العدد (٤٠) والنتيجة هو مقدار الزكاة.

مثال ذلك: لو كان مالك ١٠٠٠٠٠٠ فزكاته $١٠٠٠٠٠٠ \div ٤٠ = ٢٥٠٠٠$ ، وهو ربع العشر.

هل في المال حق سوى الزكاة؟

بعض الأغنياء الصالحين يظن أنه إذا أخرج زكاة أمواله فقد برئت ذمته من كل حق مالي، ولم يعد مطالبا بإخراج الصدقات، ولا التعاون على البر والتقوى، وهذا خطأ، ففي المال حق سوى الزكاة، فعن الشعبي أنه سئل: هل في المال حق سوى الزكاة؟ قال: نعم، وتلا هذه الآية: {وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ} [البقرة: ١٧٧] إلى آخرها^(٤٨).

وعن إبراهيم النخعي قال: كانوا يرون في أموالهم حقا سوى الزكاة.

وعن مجاهد في قوله تعالى: {فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ} [المعارج: ٢٤] قال: سوى الزكاة.

وعن قزعة قال: قلت لابن عمر: إن لي مالا فما تأمرني إلى من أدفع زكاته؟ قال: ادفعها إلى ولي القوم يعني الأمراء، ولكن في مالك حق سوى ذلك يا قزعة.

وعن مزاحم بن زفر قال: كنت جالسا عند عطاء فأتاه أعرابي فسأله إن لي إبلا فهل علي فيها حق بعد الصدقة؟ قال: نعم.

وعن الحسن البصري قال: في المال حق سوى الزكاة^(٤٩).

ويدل على أن في المال حقا سوى الزكاة ما ذكرناه في هذه الرسالة من آيات كثيرة فيها الحث على الصدقة والأمر بها والثناء على من يتصدق بأمواله سرا وجهرا، وليلا ونهارا، وفي كثير من الأحاديث الصحيحة ما يدل على أن في المال حقا سوى الزكاة، ومن ذلك الحديث الصحيح: ((ليس المؤمن بالذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه))^(٥٠).

(٤٨) رواه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ (٤٨).

(٤٩) انظر هذه الآثار في مصنف ابن أبي شيبة (٤١١/٢).

(٥٠) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢٧٤١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٤٩).

وعن أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه قال: انتهيت إلى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وهو جالسٌ في ظلِّ الكعبة، فلمَّا رآني قال: ((هم الأخسرون وربّ الكعبة!! قال: فجئت حتى جلست، فقلت: يا رسول الله، فذاك أبي وأمي، مَنْ هم؟! قال: هم الأكثرون أموالاً، إلَّا مَنْ قال هكذا وهكذا وهكذا -مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ- وقليلٌ ما هم))^(٥١).

(٥١) رواه البخاري (٦٦٣٨) ومسلم (٩٩٠).

الخاتمة

يجب على أغنياء المسلمين أن يشكروا ما هم فيه من نعمة المال، ففضل المال لا يُجهل، وفضل الغني الشاكر لا يُنكر، وفي الحديث: ((المؤمن القوي خيرٌ من المؤمن الضعيف، وفي كلٍ خير))، وإن من أعظم قوة المؤمن: قوة المال، فبالمال يستطيع الغني الموفق أن يعمل من الخير ما لا يستطيعه الفقراء؛ ولذا حث الإسلام على جمع المال من حله، وأثنى الله في كتابه على من لهم تجارات ويبيع لا تلهيهم عن ذكره، ولا تشغلهم عن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

وكم في القرآن من آيات فيها الثناء على المنفقين أموالهم، والمحسنين مع غيرهم، ولا تجب الزكاة إلا على الأغنياء، ووردت الأحاديث الصحيحة في الحث على الصدقة والجود والسخاء، وأعظم من يقوم بهذا أهل السعة والفضل من المسلمين؛ ولذا كان كثير من علماء السلف يحثون الناس على جمع المال والتجارة فيه، وكانوا يوصون صاحب المال أن يترك العجز والكسل وأن يحرص على ما ينمي ماله لينفع نفسه وغيره، وكان السلف الصالح يعدون إصلاح المال وتنميته من المروءة.

والناظر في سيرة أغنياء السلف يجد أنهم كانوا يتوسعون في جمع المال بما يستطيعون من حله، مع زهدهم وورعهم، وكان قصدهم بجمع المال أن يتقربوا به إلى الله بإخراج الزكاة والتصدق من الأرباح، فكانوا ينفقون من أموالهم سرا وجهرا، وليلا ونهارا.

وقد ذكرنا في هذه الرسالة من فوائد الزكاة والصدقات وأخبار المحسنين ما يحمل الغني الموفق على المسارعة في الخيرات، والمبادرة بإنفاق الأموال في مرضات الله، وهذا إحسان منه لنفسه قبل أن يكون إحسانا لغيره، والموفق من وفقه الله.

أسأل الله أن يبارك في هذا الكتاب، وأن ينفع به كل من اطلع عليه من المسلمين، وأن يجعله من الأغنياء المحسنين {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ}.

وكتب/ محمد بن علي بن جميل المطري

صنعاء - اليمن

Matari63@hotmail.com